**خلق الرفق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم**

**11/18/2013   2:03 PM**

****

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فإن النبي  أتى إلى البشرية بتطهير النفس من الأخلاق الرديئة، وحثها على الأخلاق الحسنة. ومن أعظم الأخلاق الفاضلة التي أوصى بها النبي  خلق الرفق، ذلك الخلق الرفيع الذي يضع الأمور في نصابها، ويصحح الأخطاء، ويقوِّم السلوك، ويهدي إلى الفضائل بألطف عبارة وأحسن إشارة وطريقة مؤثرة.**

**لقد أكثر النبي  في الرفق فقال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"[2]. وفي صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي  قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه". وهذا يدل على أهمية هذا الخلق، وحاجة الخلق إليه في سائر شئونهم.**

**إن الرفق يعني لين الجانب بالقول والفعل، واللطف في اختيار الأسلوب وانتقاء الكلمات، وطريقة التعامل مع الآخرين، وترك التعنيف والشدة والغلظة في ذلك، والأخذ بالأسهل. والرفق عام يدخل في كل شيء.. تعامل الإنسان مع نفسه، ومع أهله، ومع أقاربه، وأصحابه، ومع من يشاركه في مصلحة أو جوار، وحتى مع أعدائه وخصومه، فهو شامل لكل الأحوال والشئون المناسبة له.**

**إن استعمال الرفق في الأمور يؤدي إلى أحسن النتائج وأطيب العواقب، ويبارك الله في هذا السلوك وينفع به. أما استعمال العنف والشدة والغلظة فتفسد الأمور وتصعبها على أصحابها، وتجعل النتائج عكسية، ويحرم الخير من ترك الرفق، وترفع البركة في عمله، ويصعب عليه الأمر. قال رسول الله : "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"[3]. وقال : "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[4].**

**كما أن الرفق له أثر حسن في التأليف بين القلوب والإصلاح بين المتخاصمين، وهداية الكفار واستياقهم إلى حظيرة الإسلام والبركة في الرزق والأجل، كما قال النبي : "إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار"[5].**

**وليست الرجولة والمروءة في ترك الرفق واستعمال العنف والشدة في سائر الأحوال، ويخطئ من يظن أن استعمال الرفق ينقص من قدر الإنسان، أو يكون علامة على ضعف الإنسان وخوره في طلب الحقوق، فإن هذا الفهم خاطئ من موروثات الجاهلية؛ لأن سلوك الرفق لا يقتضي ترك المطالبة بالحق أو السكوت عن الباطل أو المداهنة فيه أو التنازل عن الحقوق، وإنما هو استعمال اللطف في الأسلوب والطريقة فقط دون المضمون؛ فالرفيق يطالب بحقه ويبين الشرع ويأمر بالمعروف ويؤدب من تحت يده ويعامل الناس، ولكن كل ذلك يفعله بسلوك اللطف والرفق. قال الله تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 43، 44]. وقال سفيان الثوري: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى".**

**لقد كان رسول الله  يعيش الرفق ويتمثل به في سائر أحواله وشئون حياته، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "ما خُيِّر رسول الله  بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه"[6].**

**وقد ثبت ذلك عنه في مجالات كثيرة، منها:**

**1- الرفق مع الأهل: قالت عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله  شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل شيء منه قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى"[7]. وكانت زوجه عائشة إذا هويت شيئًا أتبعها إياه ما لم يكن إثمًا، وقد أذن لها  بالنظر إلى أهل الحبشة وهم يلعبون، وأذن لها بالفرح واللعب يوم العيد.**

**2- الرفق مع الخادم: فعن أنس بن مالك  قال: "خدمت رسول الله  عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء: لمَ فعلت كذا، وهلاَّ فعلت كذا"[8].**

**الرفق بالأطفال3- الرفق مع الأطفال: فعن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُا- قالت: "كان رسول الله  يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم، ويحنكهم ويدعو لهم"[9]. وعن أنس  قال: "كان رسول الله  يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح على رءوسهم"[10]. وكان دائمًا يقبِّل الحسن والحسين ويلاعبهما. وحمل أمامة بنت زينب في الصلاة؛ رفقًا بها.**

**4- الرفق مع السائل: قال أنس: "كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي  وقد أثَّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[11].**

**5- الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي  يقول: "بينما أنا أصلي مع رسول الله ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شأنكم تنظرون إليَّ. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني، لكني سكتُّ، فلما صلى النبي ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"[12].**

**6- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عن أَبي هريرة  قَالَ: "بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي : دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنُوبًا من ماء؛ إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[13].**

**7- الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة  أنه قال: "بينما نحن جلوس عند النبي  إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال : هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا. فمكث النبي ، قال: فبينما نحن على ذلك أُتي النبي  بعرق فيه تمر والعرق المكتل فقال: أين السائل؟ فقال: أنا. فقال: خذه فتصدق به"[14].**

**وكذلك رَفِقَ مع الرجل الذي قبَّل امرأة وجاء نادمًا، فبيَّن له أن الصلاة كفارة لذنبه ولم يعنِّف عليه، وهذا ثابت في الصحيح.**

**8- الرفق في الصبر على الأذى: قالت عائشة -رضي الله عنها- للنبي : (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت للنبي : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)[15].**

**9- الرفق في التعامل مع الكفار: فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول الله  فقالوا: السام عليك. ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله : مهلاً يا عائشة؛ فإن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله، أوَلم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله : فقد قلت عليكم)[16]. وكان  يخاطب الكفار ويناظرهم، ويقبل هديتهم، ويعود مريضهم ويجيرهم، ويحسن إليهم إذا اقتضت المصلحة ذلك.**

**10- الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله: (أقبل رجل بناضحين[17] وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يُصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبَلَغَه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي  فَشَكَا إليه معاذًا، فقال النبي : يا معاذ، أفتان أنت أو فاتن -ثلاث مرار- فلولا صليت بـ سبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)[18].**

**وعن أنس أن النبي  قال: "إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي؛ فأخفف من شدة وجد أمه به"[19]. ومن رفق النبي  بأمته أنه نهاهم عن الوصال؛ خشية المشقة بهم، ورفقه بهم في ترك الأمر بالسواك عند الصلاة، وترك تأخير العشاء إلى وقتها الفاضل خشية المشقة عليهم، وغير ذلك مما يطول ذكره؛ كالإبراد بالصلاة وقت الحر، والجمع بين الصلوات حال العذر.**

**11- الرفق مع النفس في التطوع: فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله  يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم)[20]. وكان عمله ديمة ولو قلَّ. وقال : "خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا"[21]. ونهى عبد الله بن عمرو عن المبالغة في العبادة؛ خشية تضييع الحقوق والواجبات.**

**ومع كون الرفق غالبًا على تصرفات النبي  في كثير من أحواله إلا أنه استعمل الشدة في أحوال خاصة كانت الشدة هي اللائقة بها والمناسبة لها، وتتحقق فيها المصلحة أكثر من الرفق، وسلوكها مقتضى العدل وكمال العقل الذي دلَّ عليه الشرع:**

**(1) في إقامة الحدود: عن أبي هريرة وزيد الجهني أن النبي  قال: "والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رَدٌّ عليك، وعلى ابنك جلدُ مائة وتغريب عام، واغْدُ يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها"[22]. وكان لا تأخذه رأفة ورحمة في إقامة الحدود وتنفيذها.**

**(2) في مقام التعزير: كما في قصة هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلف الثلاثة عن غزوة تبوك، فهجرهم النبي والصحابة خمسين يومًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، ولم يكن أحد يجالسهم أو يكلمهم أو يحيهم، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم، والقصة ثابتة في الصحيحين.**

**(3) في تأديب الزوجة: فقد هجر نساءه شهرًا وامتنع عن وطئهن، واعتزل بيوتهن في مشربة له، لما ألحفن عليه في النفقة، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس: (أَن النبي  آلَى من نسائه شهرًا، فلما مضت تسع وعشرون نزل إليهن).**

**(4) في قتال الكفار وجهادهم: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة: 73].**

**(5) في زجر العاصي المعاند: عن سلمة بن الأكوع قال: (أن رجلاً أكل عند رسول الله  بشماله , فقال: "كُلْ بيمينك". قال: لا أستطيع. قال: "لا استطعت". ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعهما إلى فِيه)[23].**

**(6) في النهي عن البدع والمحدثات: لما رأى عمر بيده التوراة غضب وأنكر عليه بقوله: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل، وإما إن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"[24].**

**ومع ذلك فلم يكن في شدته ظلم لأحدٍ، أو مجاوزة لحدود الله في حقوق الخلق وحرمتهم. فالفقه في هذا الباب أن المشروع للمسلم استعمال الرفق في سائر الأمور إلا إذا دعت الحاجة واقتضت المصلحة في استعمال الشدة، فيكون ترك الرفق في هذا المقام مشروعًا.**

**وبهذا يتبين أن سلوك الرفق في كل شيء حتى إذا انتهكت محارم الله وضيِّعت الحقوق وأميتت السُّنَّة مسلكٌ خاطئ مخالف للشرع، وقد ثبت في الصحيح أن النبي  يغضب إذا انتهكت محارم الله. وكذلك سلوك الشدة في سائر الأحوال والأمور مسلك خاطئ يفضي إلى تنفير الناس، وصرفهم عن الحق، ووقوع العداوة والبغضاء، وقد أمر النبي  بالتيسير وعدم التعسير، وكان يرشد أصحابه بذلك إذا بعثهم إلى الأمصار.**

**والحاصل أن الفقه والبصيرة في الدين هي أن الأصل في الأمور كلها الرفق إلا في أحوال قليلة تستعمل الشدة. قال النووي في شرح حديث الرفق: (وفيه حث على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة). وهذا المسلك الحق من توفيق الله للعبد وتيسيره. فهنيئًا بمن اقتدى بالرسول الكريم  وكان رفيقًا لطيفًا متسامحًا، تاركًا للعنف والشدة، هينًا قريبًا، يألف ويؤلف**

**شاهد المحتوى الأصلي علي بوابة الفجر الاليكترونية -**[**خلق الرفق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم**](http://new.elfagr.org/Detail.aspx?nwsId=463827&secid=21&vid=2##ixzz2l6PPocQu)